الإسلام دين الفطرة

المكان: طهران

الزمان: 1389/4/19 هش 1431/7/27 هق 2010/7/10 م

المناسبة: ذكرى المبعث النبوي الشريف

الحضور: جمع من مسؤولي النظام، وحشد كبير من مختلف شرائح الشعب

4321

نبارك هذا العيد الكبير لكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، مسؤولي الدولة، ضيوفنا الأعزاء ـ سفراء الدول الإسلامية ـ الحاضرين في الإجتماع، وكذلك لشعب إيران الكبير والمؤمن والمخلص، ولجميع مسلمي العالم، وجميع أحراره.

إن عيد المبعث يُعدّ أعظم الذكريات التاريخية الباقية من حيث أنه أوجد مقطعاً حسّاساً إستثنائياً في تاريخ البشرية وقدّم لها مسيراً وطريقاً لو سلكه أفرادها لتأمّنت جميع مطالبهم الفطرية والطبيعية وكذلك رغباتهم التاريخية الطبيعية. لو نظرتم إلى التاريخ كلّه، لرأيتم البشرية تئنّ من انعدام العدالة. لأن العدالة هي المطلب الكبير لجميع أبناء البشر على مر التاريخ. واليوم، لو رفع أي أحد راية العدالة، فهو بذلك حقا يطرح مطلباً إنسانياً طبيعياً فطرياً تاريخياً

ممتداً. إن دين الإسلام وحركته وبعثة النبي المكرّم كانت بالدرجة الأولى وعلى رأس جميع أهدافها تسعى نحو العدالة؛ مثل جميع الأنبياء الآخرين.

وهناك مطلبٌ مهمٌ آخر وهو مطلبٌ أساسيٌ وكبير للبشرية هو الصلح والأمن والهدوء. فالبشر يحتاجون لعيشهم ولنموّ فكرهم وتطوير أعمالهم وراحة نفوسهم إلى الهدوء، وإلى البيئة والجو الآمن والمأمون؛ سواء على مستوى الباطن والذوات أو على مستوى بيئة الأسرة أو المجتمع أو البيئة الدولية. إن الهدوء والأمن والأمان والصلح تُعدّ من المطالب الأساسية للبشر. والإسلام هو داعي الأمن والصلح والأمان. وعندما نقول تبعاً للقرآن وتعاليمه أن الإسلام دين الفطرة، فهذا ما نعنيه. ذلك السبيل الذي يعرضه الإسلام على البشرية هو سبيل الفطرة؛ سبيل تأمين الإحتياجات الفطرية للإنسان. وهكذا تحققت البعثة النبوية الشريفة من جانب رب العالمين بهذه الجامعية والدقة والإهتمام، والنبي يبشّر بفلاح البشرية؛ ﴿بشيراً وَنَذيراً﴾. ففي الدرجة الأولى هي بشرى بهذه الحياة الهادئة المتلازمة مع العدالة والمنسجمة مع خلقة الإنسان. وبالتأكيد بتبع هذه البشرى البشارة بالثواب الإلهي الذي يرتبط بالحياة الدائمة للإنسان. لهذا فإن بعثة النبي في الواقع هي بعثة الرحمة. فبفضلها شملت الرحمة الإلهية عباد الله؛ وفُتح هذا الطريق أمام البشر؛ وطُرحت العدالة والأمن والأمان؛ ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1]، فبفضل هذه التعاليم بيّن النبي الأكرم للبشرية سبل السلام وسبل الأمن. وسبل السلام هذه ـ سبل الأمان والهدوء والأمن ـ تتعلّق

(1) سورة المائدة، الآية: 15، 16.

بجميع البيئات التي تهمّ الإنسان؛ بدءاً من البيئة الداخلية المعنوية للإنسان ومروراً بالبيئة الإجتماعية، الأسرية، بيئة العمل والتكسّب، بيئة الحياة الجمعية، وانتهاءً بالبيئة الدولية، فهذا ما كان يسعى الإسلام من أجله.

وما يذكره الإسلام تحت عنوان أهداف العدو هو بالدقة عبارة عن تلك الأمور التي تتعارض مع هذه الخطوط الأساسية للحياة الإنسانية، فالذين يخالفون العدالة والصلح والأمن والهدوء، ويخالفون الصفاء والروح الإنسانية النقية والمتكاملة هم في المقلب الآخر من دعوة الأنبياء. ومن أجل العدالة أوجب الله تعالى الجهاد على المسلمين، ولم يكن الجهاد مختصاً بالإسلام؛ بل قد وُجد في جميع الأديان الإلهية. فالذين يقفون في وجه الدعوة هم الذين يخالفون ويعارضون تحقق الأمن والهدوء والسلام والتكامل للبشر والمجتمع، وهم أعداء مصلحة الإنسانية؛ وهي تلك القضية التي جعلها الإسلام هدفاً. فمنذ بداية البعثة وضع نبي الإسلام المكرّم النقاط على الحروف من خلال الآيات التي كانت توحى إليه.

ففي السورة المباركة (إقرأ)، والتي بحسب الظاهر نزلت آياتها الأولى على النبي في أول الوحي ـ والآيات اللاحقة للسورة نزلت بعد مدّة وإن كانت في مرحلة بداية البعثة ـ تقول: ﴿كَلا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَه * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة﴾[1]، فهي تهدد أولئك الذين يقفون مقابل دعوة الرحمة، دعوة العزة، دعوة الهدوء والأمن.

أو في سورة "المدّثر" المباركة، التي هي من أوائل السور التي نزلت على

(1) سورة العلق، الآيات: 15، 16، 17، 18.

النبي حيث تشدد على العنصر المعارض لحياة الناس: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾[1]، ففي مقابل من يعارض النبي ويعارض مصلحة المجتمع الإنساني ويعترض طريق الحق يشار إلى صمود هذه الحركة العظيمة وإلى المعارضة. لهذا كان الجهاد والقتال في الإسلام. بيد أن هذا الجهاد هو حربٌ ضد المعارضين لهدوء الحياة الإنسانية والمعارضين للعدل وسعادة البشر. لهذا إذا نظرتم إلى القرآن الكريم وسيرة النبي سترون أنه منذ ذلك اليوم الذي أقيمت فيه الحكومة الإسلامية كان هناك من غير المسلمين يعيشون تحت ظل النبي في أمن وأمان. فكان اليهود في المدينة وقد عاهدوا النبي على أساس أن يعيشوا إلى جواره حياة هادئة؛ لكنهم تآمروا وخالفوا وخانوا وطعنوا في الظهر؛ لهذا وقف النبي مقابلهم. فلو لم يخالف يهود المدينة ويعادوا ويخونوا، لعلّ النبي لم يكن ليتعرّض لهم أبداً. لهذا فإن الدعوة الإسلامية هي دعوةٌ معنوية؛ دعوة قائمة على الإستدلال؛ دعوة بمعنى تقديم حياة بيّنة ممتزجة بالسعادة للبشر.

في المقابل يظهر المعارضون؛ والإسلام يزيل هؤلاء من على الطريق. فالإسلام ليس ضعيفا. ولو وُجد هذا المعارض الذي يعترض سعادة الإنسان ودعوة الحق، فإن الإسلام يرفع قبضته بوجهه ويقف أمامه. فقارنوا هذا مع سيرة القوى العالمية المعتدية على مرّ التاريخ، واليوم هم موجودون ويشعلون الحروب من أجل زيادة قدراتهم ونشر الظلم.

---

(1) سورة المدثر، من الآية: **11**، إلى الآية: **17**.

فانظروا اليوم إلى العالم؛ القوى المهيمنة والمستكبرة فيه تصنع الأسلحة مهدّدةً البشرية لا من أجل بسط العدل؛ إنما تفعل ذلك للمزيد من الظلم لا لأجل تقديم الأمن للبشرية؛ بل لتسلب الأمن من أولئك الذين لا يخضعون لها. فالقضية اليوم في عالمنا هي هذه.

واليوم عندما نطلق على جاهلية العصر في العالم إسم الجاهلية الحديثة فإنما نفعل ذلك من أجل ما ذكرناه. فعصر الجاهلية لم ينتهِ. الجاهلية هي الوقوف مقابل الحق وضد التوحيد وضد حقوق الإنسان وفي مقابل السبيل الذي فتحه الله للبشرية من أجل السعادة. فهذه الجاهلية موجودةٌ اليوم بشكلها المعاصر، مستفيدةً من العلم والتكنولوجيا المتطورة والأسلحة النووية وغيرها من الأسلحة المختلفة لكي تملأ جيوب أصحاب الصناعات المخربة والمدمّرة للحياة البشرية.

إن قصة الأسلحة والميزانيات العسكرية اليوم تُعدّ من قصص البشرية المحزنة. ففي يومنا هذا تنتج مصانع الأسلحة الكثير منها من أجل بيعها. فتوجد لأجل ذلك الحروب في العالم، وتقلّب الناس ضدّ بعضهم وتحرّض الدول على بعضها، لتشيع بذلك التهديد كي تتمكّن من تأمين وإشباع وإرضاء أفكارها الخائنة وأطماعها الخبيثة.

لهذا ما دامت هذه القوى العظمى هي المحرّك للقضايا العالمية، فلن تنتهي الحروب. فالحرب بالنسبة لهم تمثّل المنافع المادّية وهي ليست من أجل تطبيق العدالة؛ يكذب الأمريكيون وغيرهم عندما يقولون أننا نحارب من أجل الأمن؛

كلا، العكس هو الصحيح. فأينما تواجدوا وتحرّكوا عسكرياً فإن ذلك يؤدي إلى عدم الإستقرار وإلى الظلم، وشقاء الناس. منذ أن وُجدت هذه الآلات الحديثة في العالم والبشرية تعاني. طوال 45 سنة ـ أي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإلى عام 1990م. ـ والتي أُطلق عليها مرحلة الحرب الباردة، سجّلت التقارير الدولية الرسمية أن العالم لم يعش أكثر من ثلاثة أسابيع بدون حرب! فطوال هذه الـ 45 سنة كانت الحروب تندلع في كل أرجاء العالم. فمن الذي كان يشعلها؟ إنهم أولئك الذين كانوا ينتجون الأسلحة. إن الميزانيات العسكرية للقوى العظمى اليوم هي من أضخم الميزانيات. فطبق إحصاءاتهم وفي السنة الميلادية الفائتة أنفقت أمريكا أكثر من 600 مليار دولار على ميزانيتها العسكرية. وها نحن نشاهد اليوم هذه الميزانيات العسكرية في جوارنا. فهي تُنفق في أفغانستان من أجل قمع الشعب الأفغاني المسلم؛ وتُنفق في العراق من أجل إحكام السيطرة على الشعب العراقي؛ وتُنفق لدعم الكيان الصهيوني الخبيث من أجل إشعال الشرق الأوسط. فهذه هي توجهات القوى الفاسدة. والإسلام يواجههم ويخالفهم. أولئك الذين تكون مصلحتهم ومنافعهم في أن تتقاتل الشعوب والدول الإسلامية فيما بينها وتتعادى وتخاف من بعضها البعض، وفي أن يعتبر كلٌّ منها الآخر تهديداً له، هم أنفسهم الذين يرتبط إستمرار قدرتهم الإستكبارية والإستعمارية بوجود الحروب في العالم؛ فالحرب بالنسبة لهم هي وسيلةٌ للنهب؛ فمن أجل ماذا يُقتل كل هؤلاء البشر وتُنفق أموال الشعوب في شراء الأسلحة، وإنتاج المكلف الباهظ منها؟ كل ذلك حتى يراكم أصحاب الشركات الكبرى ثرواتهم ويزداد تمتعهم من حياتهم. هذا هو

النظام الطاغوتي الجاهلي الذي يمثّل خطراً على البشرية، والذي يحكم وللأسف حياة أولئك الناكبين عن صراط التوحيد.

وبالتأكيد فإن هذا النهج لن يبقى؛ لأنه خلاف الحق؛ ولأنه باطلٌ فإنه زائل:﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾[1]؛ فالباطل هو ذلك الشيء الذي يخالف السنة الإلهية في الخلق؛ فهو زائلٌ وزهوق ولا يبقى. والمرء يشاهد علائم هذا الزوال في يومنا هذا. فعندما ينظر الإنسان إلى الأوضاع الدولية يشاهد علائم هذا الزوال.

لقد تبدّلت أوضاع العالم؛ واستيقظت الشعوب؛ ولحسن الحظ فإن هذه اليقظة بين الشعوب الإسلامية أكبر. فها هي الشعوب الإسلامية، والحكومات الإسلامية تدرك أهمية الإسلام وعظمته وعظمة هذه الدعامة الموثوقة والمعتمدة. فاليوم، أدّت الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي إلى إضعاف القوى الأخرى عما كانت عليه في السابق. فحال أمريكا اليوم يختلف عن الماضي، والقوى الأخرى أيضاً هي على نفس هذا المنوال، فهذا معلومٌ. وعلى الشعوب الإسلامية أن تغتنم سبيل التوحيد وتؤمن بصدق الوعد الإلهي. فاليوم تكمن سعادة المسلمين في إتحادهم جميعاً حول محور الإسلام.

لا شك أن العدو موجود اليوم وغداً. فأينما ازدادت الصحوة، يشعر أعداء البشرية بالمزيد من الخطر؛ ولهذا تشتد عداوتهم. ونحن نعرف جيداً ماهية العداوات ضد الجمهورية الإسلامية ونعرف أسبابها: لأن الجمهورية الإسلامية

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 81.

رفعت راية صحوة الشعوب الإسلامية. لأن الجمهورية الإسلامية تدعو الشعوب والدول إلى الإتحاد والعزّة وتقول لهم أن يثمنوا عزّتهم في ظل الإسلام. فالعداء بسبب هذا؛ نحن ندرك هذا. ونعلم أن هذه العداوات ستبوء بالفشل؛ مثلما كانت إلى يومنا هذا خائبة. فلأكثر من 31 سنة، وهم يبذلون المساعي ضد الجمهورية الإسلامية، وطوال هذه السنوات كانت الجهورية الإسلامية تقوى وتتجذّر بفضل الله. وسوف تستمر هذه المساعي. وكلما استمرت هذه العداوة، فإن شعبنا، الشعب المسلم، التجمعات الشعبية في العالم الإسلامي سوف تكتشف هويّتها أكثر، وتتعرّف على قيمتها أكثر.

نأمل من الله تعالى أن يعين جميع الدول والشعوب الإسلامية، لكي يثقوا بأنفسهم ويعتمدوا على ذواتهم ولا يهابوا القوى المستكبرة؛ ليعلموا أن هذه القوى إلى زوال؛ وأنها قوة مزيّفة وباطلة. وأن هذا الباطل لا يمكن أن يبقى، ﴿وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

نسأل الله تعالى أن يقرّبنا أكثر إلى طريق الإسلام وسبله ببركة البعثة النبوية؛ ويزيد قلوبنا معرفةً بالأحكام والمعارف الإلهية؛ وأن يقرّب قلوب الشعوب الإسلامية إلى بعضها البعض؛ فتتكاتف الدول الإسلامية لتتمكّن إن شاء الله من استرجاع قدرتها وعزّتها وكرامتها المهدورة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(1) سورة الرعد، الآية: 17.